الشيخ ابن عثيمين عالماً ومربياً وعلاقته بطلبة العلم من الخارج

«طلبة الكويت نموذجاً»

إعداد

أ. د. محمد السيد عبدالرزاق السيد إبراهيم الطبطبائي

رئيس المؤتمر الدولي للقضايا الإسلامية المعاصرة

عميد كلية الشريعة والدراسات الإسلامية (سابقاً)

دولة الكويت





206 Blank

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العلمين والصلاة على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فقد قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ على رَأْسِ كل مِائَةِ سَنَةٍ من يُجَدِّدُ لها دِينَهَا**»، ومن العلماء الذين نحسبهم من المجددين على رأس المائة الرابعة عشر فضيلة الشيخ **محمد بن صالح العثيمين**، الذي كان عالماً موسوعياً، فتراه مبرزاً في علم العقيدة، والتفسير والفقه، واللغة.

لقد وجد في زمن الشيخ محمد كثير من العلماء، وهناك الكليات المتخصصة في الشريعة وأصول الدين، ولكنه كان أكبر تأثيراً من كلية بأكملها، تفوقت جهوده على الجهود الجماعية التي لا تصل إلى ما أنجزه وخرجه من تلاميذ.

كما أن في زمنه علماء كباراً استفدنا منهم، من أمثال العالم الجليل الشيخ صالح البليهي ~ ، ولكن مما يمتاز به الشيخ ابن عثيمين عن بقية العلماء في زمنه، أنه لم يكن عالماً فحسب، بل معدا لجيل مؤهل لحمل العلم من بعده، من خلال توفير كل ما يحتاجه طالب العلم.

وما قام به في خدمة العلم وطلبته لا يطيقه كثير من العلماء، أو لا يكاد يجتمع في عالم، لما يأخذ منه من متابعة، وجهد، وإنفاق.

ومن الطلبة الذين استفادوا من الشيخ محمد بن عثيمين طلبة علم أتوا من دولة الكويت، قصدوا مدينة عنيزة، لطلب العلم في المسجد الذي يدرس فيه الشيخ

محمد (الجامع الكبير)، وقد بقوا في القصيم، وسكنوا في مدينة عنيزة لينالوا من منهل العلم الأصلي، وأخذه من أحد أبرز علماء عصره.

بل إن طالب العلم ليزداد رفعة وقبولاً عند الناس عندما يقال عنه: إنه تتلمذ على يد الشيخ محمد بن عثيمين، ويكفي في نسبة الطالب إلى العلم وأهله أنه تتلمذ على يد الشيخ ابن عثيمين ~ .

وسوف نتناول في هذه الورقة جانبين من حياة الشيخ ~ وذلك في مبحثين، وهما:

* المبحث الأول: **الملامح العامة لمنهجه في تعامله مع طلبة العلم.**

* المبحث الثاني: **علاقته مع الطلبة الكويتيين.**

والله تعالى نسأل أن يجعل ذلك في ميزان حسناته، وأن يجزيه عنا خير الجزاء.

المبحث الأول
أبرز سمات الشيخ ابن عثيمين
في تعامله مع طلبة العلم

لا يكاد طالب تتلمذ على الشيخ ابن عثيمين إلا وقد ترك الشيخ أثراً في سلوكه، قبل أن يمنحه من علمه الغزير، والسر في التأثر طلبته الكبير به **يعود إلى ثلاثة أمور**، **وهي**:

أ ـ غزارة علمه.

ب ـ تعامله الكريم مع الطلبة.

ج ـ اقتطاعه من وقته للطلبة.

وإن من أبرز سمات تعامل الشيخ محمد مع تلامذته **عموماً ما يلي**:

*** أولاً: الرعاية الأبوية للطلبة:**

إن اهتمام الشيخ ابن عثيمين لا يقف عند الجانب العلمي والمادي، بل يشعر الطلبة بأنه لهم أباً، يمكنهم الرجوع إليه، حتى في مسائلهم الشخصية.

*** ثانياً: الرعاية المادية لطلبته:**

لقد كان الشيخ محمد ~ يهتم بتوفير المسكن المناسب لطلبة العلم، الذين يتلقون العلم عنده، مهما كانت أحوالهم المالية، فضلاً عن أنه يقدم للطلبة الفقراء، مبلغاً مالياً، لشراء احتياجاتهم الخاصة[1].

---

(١) حرصاً على قربي من الشيخ ابن عثيمين أردت أن أسكن في السكن المجاور للمسجد، ولكن لكونه مخصصاً للطلبة الفقراء، استأجرت مع الشيخ عثمان الخميس شقة في حي الشفاء بجوار المسجد، وحضور دروسه المباركة كل يوم بعد المغرب.

*** ثالثاً: تعليمهم الاحترام:**

لقد كان الشيخ ابن عثيمين ~ يتمتع بخلق رفيع، ويعامل طلبته بكل احترام وتقدير، فكان قدوة حسنة، أثمرت احترام الطلبة لأنفسهم، وللآخرين، ولا يعرف قدر وأثر هذه التربية النفسية التي تركها الشيخ ابن عثيمين، رحمه الله تعالى، في طلابه حتى يرى أسلوب التربية المبنية على فقد الشخصية لدى بعض المعلمين، الذين سلبت ثقتهم بأنفسهم.

*** رابعاً: ترسيخ مبدأ عدم الحزبية:**

إن مما يميز طلبة الشيخ محمد العثيمين في الكويت هو انتهاج منهج الاتباع للكتاب والسُنَّة، على فهم السلف الصالح، مع عدم التحزب لجماعة أو فرقة، في الوقت الذي كانت تعاني منه الجماعات الدينية في الكويت في الثمانينات والتسعينات من حزبية ممقوتة.

*** خامساً: اتباع الدليل:**

لقد كان الشيخ محمد ~ يدرب طلبته **على أمرين:**

أولاً: النظر في الدليل، وقوته.

ثانياً: اتباع الدليل.

*** سادساً: تعليمهم أن العبرة بالقول لا بالقائل:**

لم يكن من منهج الشيخ، رحمه الله تعالى، تعظيم الأشخاص، فلا يتوقف إلا عند قول المعصوم محمد ﷺ، أو ما وقع فيه الإجماع، وفي المقابل لم يكن يطعن في المخالفين، مهما كانوا، وكان دائماً يكرر مقولة: «العبرة بالقول لا بالقائل».

*** سابعاً: احترام الآراء الأخرى طالما أنها من الآراء المعتبرة:**

لا يشك أحد في بروز الشيخ ~ في الفقه، وكان من عادته يذكر الآراء المعتبرة في المسألة الفقهية، دون ذكر القائل في الغالب، وذلك **لأمرين:**



الأول: أن العبرة بالقول لا بالقائل.

الثاني: خشية النسب الخاطئة للأئمة.

كما كان يحرص على ذكر دليل كل قول، وذلك تدريباً منه لطلبته على آداب الاختلاف، ومعرفة الدليل وطرق الاستدلال.

ومما يجب الوقوف عليه أنه كان يذكر الآراء بكل احترام، ولا تكاد تعرف ترجيحه إلا بعد ذكره، لإنصافه للآراء عند إيرادها، دون ازدراء أو تحقير.

*** ثامناً: التواضع للطلبة:**

لقد كان الشيخ محمد متواضعاً في تعامله مع الطلبة عموماً، فكان يخرج معهم إلى أماكن النزهة بين الحين والآخر، ويجلس بينهم، ويشاركهم الحديث، وبعض الطلبة كان يذهب للعب، وكان يجلس هو مع بقية الطلبة، ويسألهم أسئلة في الألغاز الفقهية، وذلك إلى قبيل أذان العصر، فينصرف الجميع لأداء الصلاة في المسجد.

*** تاسعاً: حبه وعطفه على الطلبة:**

لم يكن الشيخ محمد يتململ من كثرة سؤال طلبة العلم له، حتى بعد فراغه من المحاضرات واستراحته بين المحاضرتين، وكان الطلبة بعد خروجه من الفصل في الكلية يجتمعون عليه للسؤال، ويجيب عن أسئلتهم بلا انزعاج[1].

*** عاشراً: الطلاقة والبشر:**

كان من عادته الطلاقة والبشر، والابتسامة التي لا تكاد تفارقه، وأحياناً يستخدم

(١) لقد تتلمذت على الشيخ محمد بن عثيمين في الكلية في مادة العقيدة، وفي المسجد، وفي إحدى المرات ونحن في السنة الثانية، ولم يكن الشيخ يدرسنا في هذا الفصل، لحقت بالشيخ ابن عثيمين في الكلية، وانتظرت الطلبة يسألونه، حتى وصل إلى قاعة استراحة الأساتذة، وبعدها سألته هل يطلق على الحيوانات أن لها عقلاً؟ فأجابني الشيخ ابن عثيمين، بأن العقل عقلان، عقل تفكير، وعقل تدبير، والحيوانات لها عقل تدبير فقط، وليس لها عقل تفكير.

الطرفة البريئة، والفقهية.

ومن ذلك لما وجه لنا سؤالاً ونحن في حلقة المسجد: هل الذين يرضعون من بقرة يكونون أخوة لأم؟

فأجاب أحد الطلبة: بلى.

فقال له الشيخ: فمن أبوهم إذاً، فضحك الطلاب، وعلم الطالب أنه قد أخطأ، وأوضح أنه يشترط في اللبن الذي يحرم أنه لآدمية.

❊ أحد عشر: الانضباط في الحياة:

إن من أصعب الأمور في الحياة الاستمرار والانضباط في الحياة، وإن مداومة الشيخ ~ ـ على الحلقة ـ طوال العام دون سأم أو كلل، ولو كان مريضاً، هذا الأمر يتعلم منه الطلبة الانضباط والجلد في الحياة.

وقد كان هناك انضباط عام في حلقته في المسجد، فلا يستطيع أحد أن يشوش على الحاضرين بالكلام، أو يغفل.

قصة: في إحدى المرات رأى الشيخ ~ أحد الطلبة غافلاً، فسأله: هل أنت منتبه؟

فقال الطالب: إن شاء الله.

فقال له: هل على رأسك شماغ؟

فقال الطالب: بلى.

فرد عليه الشيخ: لماذا تقول هنا: بلى، وفي الانتباه تقول: إن شاء الله.



المبحث الثاني

عناية الشيخ ابن عثيمين بالطلبة الكويتيين

لقد كان الطلبة الكويتيون يكنون للشيخ محمد بن عثيمين محبة كبيرة، فهو إما سبب مجيئ بعضهم، أو بقاء بعضهم الآخر في القصيم، وكان من **مظاهر هذه المحبة ما يلي:**

ـ سكن الطلبة الكويتيين في عنيزة رغم أن الكلية كانت في بريدة، حتى انتقلت في عام ١٤٠٦هـ.

ـ حرصهم على حضور دروس الشيخ محمد العثيمين في مسجد الجامع الكبير في عنيزة، ومسجد العضلية.

ـ حضورهم لمحاضراته العامة، ولقاءاته مع طلبة العلم.

ولا بد أن أبين ابتداءً أني سوف أتناول الحقبة ما بين ١٤٠٤ـ١٤٠٨هـ، وهي الفترة التي عاصرنا فيها الشيخ محمد بن عثيمين ~ وذلك تزامناً مع الدراسة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في القصيم.

وقد عقبها بعد ذلك زيارات سنوية للشيخ ~ ، وأعتذر عمن لم يرد ذكره، وهم كثيرون، لاسيما بعدما ذاع صيت اسم الشيخ في الكويت، وقصده كثير من طلبة العلم.

*** أولاً: تلاميذ الشيخ ابن عثمين في الكويت:**

لقد تتلمذ على يد الشيخ محمد بن عثيمين ~ عدد كبير من الكويتيين، ولكن من أبرز تلاميذ الشيخ ابن عثيمين ~ في تلك الحقبة، بحسب الترتيب الزمني، **ما يلي:**

عام ١٤٠٣هـ :

ـ الشيخ سالم الطويل. (معلم بوزارة التربية، وإمام وخطيب).

ـ الشيخ ماهر الساير ~ (رئيس قسم البحث والتصنيف في إدارة المخطوطات بوزارة الأوقاف الكويتية).

عام ١٤٠٤هـ :

ـ عثمان الخميس (مراقب دار القرآن الكريم، وإمام وخطيب).

ـ محمد الطبطبائي (عميد كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، ونائب رئيس لجنة الإفتاء).

ـ فيصل السعيد (إمام وخطيب وناظر مركز في دار القرآن الكريم).

عام ١٤٠٦هـ :

ـ مساعد الحمدان.

ـ مساعد العتيقي (إدارة المخطوطات بوزارة الأوقاف).

ـ بدر الأرملي (معلم في مدرسة النور).

عام ١٤٠٧هـ :

ـ فيحان سرور (معلم في وزارة التربية، وإمام وخطيب).

وبعد ذلك قدم عدد كبير من طلبة العلم من الكويت، ليس هذا موضع حصرهم.

*** ثانياً: حضوره المناسبات الخاصة للطلبة :**

كان من عادة الشيخ محمد العثيمين مشاركة طلبته بمناسباتهم الخاصة، ومن ذلك لما ولد للشيخ فيصل السعيد (أحد الطلبة الكويتين) مولود، دعاه للعقيقة، فأجاب الدعوة، بحضور جميع الطلبة الكويتيين، ومجموعة من طلبة العلم.

*** ثالثاً: تفقده للطلبة بعد تخرجهم من الكلية :**

كان، رحمه الله تعالى، يتفقد أحوال طلبته، ويتواصل معهم حتى بعد تخرجهم من الكلية، ولا تنقطع علاقته بهم بمجرد تخرج الطالب من الكلية، وعودته لأهله، وكنا في زيارتنا له، يسأل عن الطلبة الذي درسوا عليه، وعن أحوالهم، ويبلغهم السلام.

*** رابعاً: وصيته للطلبة الكويتيين :**

لقد أوصى الشيخ محمد بن عثيمين الطلبة الكويتيين في عام ١٤٢٠هـ تقريباً زاره طالبان من طلبته، وهما الشيخ عثمان الخميس وكاتب هذه السطور، حضرا معه درس المغرب، وبعد الصلاة سارا معه في طريقه لمنزله، وبعدها قال لهما:

لديكم في الكويت نزاعات كثيرة، وأوصيكم **بأمرين:**

أولاً: النصح، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

والثانية: ردكم يكون على الموضوع لا على القائل، لأنكم إذا تناولتم الشخص كان خصمكم الشخص والموضوع، وإذا تناولتم الموضوع دون الشخص ومن وافقه، فلا يكون العداء شخصياً.

*** خامساً: تواصلهم معه بكافة وسائل الاتصال :**

لقد كان تواصل الطلبة الكويتيين مع الشيخ ابن عثيمين لا يقف عند حلقة المسجد، أو الكلية، بل كانوا يتواصلون معه هاتفياً، لقد كان الشيخ ~ يجلس في منزله كل يوم بعد صلاة الظهر، للإجابة على الأسئلة عبر الهاتف، فكانوا يتصلون عليه يسألونه عما يشكل عليهم.

وقد اتصلت عليه يوماً وسألته عن حكم تقديم صلاة العصر على الظهر في وقت العصر لمن فاتته الظهر، ودخل وقت العصر؟

فأجابه: بأن الصلاتين وجبتا في ذمته، وأيهما أخرج قبل جاز، والأولى الترتيب.

*** سادساً: استقبال الكويتيين الذين يزورون الشيخ محمد:**

لم يكن الطلبة الكويتيون في عنيزة بمعزل عن الدعاة وطلبة العلم في الكويت، بل كانوا يأتون إليهم في مقر سكنهم في حي الشفا، ويقيمون عندهم، فيذهبون بهم إلى الشيخ ابن عثيمين للاستفادة منه، ولسؤاله فيما يريدون.

*** سابعاً: إكرامه لأولاد طلبته، والدعاء لهم:**

كان من عادة الشيخ محمد بن عثيمين أنه لا يقف تشجيعه عند طلبة العلم فحسب، بل لأولادهم الصغار عندما يراهم معهم، ويبث فيهم روح طلب العلم، وأول ما يسأل عنه: كم تحفظ من القرآن؟ ويشجع على المزيد من الحفظ.

*** ثامناً: التربية العملية للطلبة:**

لقد كان أسلوب توجيه الطلبة فيما يلي:

أولاً: التوجيه بالقدوة:

لقد كان الشيخ محمد بن عثيمين ~ قدوة صالحة لطلابه، في عبادته، وأدبه، وجلده على العلم، وسلوكه مع الآخرين، فلم يكن يظهر الغضب، ولو جهل عليه أمام طلابه.

ففي إحدى الليالي، وبعد درس المغرب، صلى الشيخ ابن عثيمين العشاء، فقرأ سورة قصيرة، فتعدى آية، فرد الناس من كل مكان في المسجد، فلما فرغ الشيخ من صلاته، حمد الله وأثنى عليه، وبعدها نبههم أن الذي يفتح على الإمام هو من خلفه، فرد عليه أحد العامة بصوت مرتفع: ما دمت لا تعرف تصلي لم تتقدم، فغضب طلابه، وهم سكوت، ولكن الشيخ قابل ذلك بحلمه المعتاد، وسكت دون تعليق

مبتسماً، وشرع في التسبيح كعادته بعد كل صلاة.

ثانياً: التوجيه المباشر:

يقوم الشيخ أحيانا بالتوجيه المباشر للطالب، وذلك بحسب الحال.

ومن ذلك أننا ذات مرة في صلاة العشاء التفت الشيخ إلى المصلين وقال: «استووا.. تراصوا»، وكان ماهر الساير في الصف الأول، ففتح رجليه، وبالغ حتى باعد بينهما لكي يسد الفرجة التي بينه وبين من هما عن يمينه وشماله، فأشار إليه الشيخ، رحمه الله، أن ضم القدم بما لا يزيد عن الكتف.

الخاتمة

هذه الصفحات لن توفى الشيخ ابن عثيمين حقه، ويكفينا ما قاله السيد عبدالجليل ~ في ذلك[1]: «كلَّ مهد ودالٍ وعالم يحصل له أجرٌ إلى يوم القيامة، ويتجدد للشيخ في الهداية مثل ذلك الأجر، ولشيخ شيخه مثلاه، وللشيخ الثالث أربعة، والرابع ثمانية، وهكذا مضَّعف في كل مرتبة، بعدد الأجور الحاصلة قبله، إلى أن ينتهي إلى المصطفي ﷺ، وإذا فرضت المراتب عشرة بعد النبي، كان للنبي من الأجر ألف وأربعة وعشرون، فإذا اهتدى بالعاشر حادي عشر، صار أجر النبي ألفين وثمانية وأربعين، وهكذا كلما ازداد واحد، يتضاعف ما كان قبله أبداً إلى يوم القيامة، وهذا أمر لا يحصيه إلا الله، فكيف إذا أخذ مع كثرة الصحابة والتابعين والمسلمين في كل عصر، وكل واحد من الصحابة يحصل له بعدد الأجور التي ترتبت على فعله إلى يوم القيامة، وكل ما يحصل لجميع الصحابة حاصل بجملته للنبي ﷺ[2]، ومن تأمل هذا المعني، ورزق التوفيق، انبعثت همته إلى التعليم، ورغب في نشر العلم؛ ليتضاعف أجره في الحياة وبعد المماة علي الدوام»[3].

***

(١) القول الحسن فيما يستقبح وعما يسن ـ العلامة الشيخ السيد عبدالجليل الطبطبائي ـ المتوفى ١٢٧٠هـ، ص ٢٦.
(٢) فيض القدير (٦/ ١٢٧)، وشرح الزرقاني (٢/ ٦٢).
(٣) فيض القدير (٦/ ١٢٧)، وشرح الزرقاني (٢/ ٦٢).

